كلمة رئيس الجامعة الأنطونيّة الأب ميشال السغبيني

في "عظة إثنين الرماد"

من وحي رسالة البابا لاون الرابع عشر

١٦ شباط ٢٠٢٦

المجد لله،

نقف اليوم على عتبة الصوم الكبير الذي هو في تقليدنا الماروني والمشرقيّ ليس مجرّدَ زمنٍ سنويٍّ للامتناع عن الطعام، أو رتبةٍ ليتورجيّةٍ تذكّرنا بحالتنا الأولى وكيف صنعنا الله، بل كما يصفه البابا لاون الرابع عشر في رسالة الصوم لهذا العام: هو "رحلة تجريد من أجل الامتلاء". وفي بيتنا الجامعيّ، حيث الكلمة هي أداتنا والنهج هو لغتنا، نجد أنفسنا أمام تحدٍّ في هذا الزمن، ولذلك استوحيت من رسالة الصوم للبابا لاون لهذا العام ثلاثة محاور: صوم اللسان، كيفيّة الإصغاء والصوم الجامع.

أوّلًا: الصوم عن "عنف الكلمة"

في الحرم الجامعيّ، قد لا نخطئ بالجسد، لكننا قد نسقط بهفوات اللسان. يذكّرنا البابا أن صوم اللسان ليس "صمتًا سلبيًّا"، بل هو تنقية مفرداتنا:

- من النقد الجارح: علينا التنبّه من الكلمات التي تكسر معنويّات الطالب أو تحطّ من قدْر الزميل. صوم اللسان يعني استبدال كلمة "احباط" بكلمة "بناء".
- من النميمة الإداريّة: تلك الهمسات التي قد نقع بها في الممرّات التي تعكّر الأجواء. والصوم هنا هو الترفّع عن القيل والقال، لنصنع بيئةَ عملٍ سليمة يسودها الصدق والحرفيّة. يقول أحد الحكماء: " لسانُ العاقل وراءَ قلبه، وقلبُ الأحمق وراء لسانه". أمّا البابا فيقول لنا: "أودّ أن أدعوكم إلى طريقةِ انقطاعٍ عمليّةٍ جدًّا، وقد لا ننتبه إليها مرارًا، وهي الامتناع عن الكلام الذي يسيء ويجرح قريبَنا. لنبدأ بنزع السّلاح من كلامنا، فنتخلّى عن الكلام الحادّ، وعن الحكم السّريع والمُباشر، وعن الكلام السّيّئ عن الغائب ولا يمكنه أن يدافع عن نفسه، وعن الافتراء".
- من "الأنا" المعرفيّة: الصوم يجنّبنا "تجربة امتلاء القلب بالكبرياء"، هو صومٌ عن التباهي بالمعرفة أو الخبرة أو العِلم الذي يُقْصي الآخَر؛ لنجعل من معرفتنا وخبرتنا جسرًا يلاقي الآخر لا جدارًا يفصلنا عنه.

ثانيًا: الإصغاء للآخر

يقول أيضًا البابا لاون أنّ "الاستعداد للإصغاء هو العلامة الأولى التي بها نُظْهر رغبتنا في الدّخول في علاقة مع الآخر". فالصائم الحقيقيّ هو من يصوم عن ضجيج نفسه ليسمع صرخة أخيه. إخوتي الأحبّاء، خلف كلّ "طالب متعثّر" أو "زميلٍ قَلِق"، هناك قصّةُ ألمٍ صامتة. لِذا من الأهمّية بمكان أن نجعل من هذا الزمن مساحة للتمرّس على:

- الإصغاء للطالب: والصوم يدعونا لتخصيصِ وقتٍ للإصغاءِ لهواجسه، لخوفه من المستقبل، لضياعه في عالم متسارع؛ فالأُذُن الصاغية هي مكمّلةٌ للمحاضرة البليغة ومتمّمةٌ للدرس المنهجيّ أو النشاط الهادف.
- الإصغاء للزميل المتألّم: إن الموظّف الذي يعاني من ضغوط الحياة أو المرض، أو الإثنين معًا، يحتاج منّا "حضورًا" لا "إدارة". الصوم هو أن نفرّغ أنفسنا من انشغالاتنا لنكون "واحة" يستريح فيها المتعبون.

ثالثًا: كما الصوم كذلك الجامعة (معًا)

كما أنّ الصوم هو مسيرةٌ مشتركةٌ بحيث أنّه لا يهدف إلى الانعزال أو التفرّد، كذلك هي الجامعة، تجمع. فكما أنّ الصوم هو "سندٌ لتوبة حقيقيّة؛ والتّوبة لا تخصّ ضمير الإنسان فحسب، بل أيضًا أسلوب علاقاته، وجودة الحوار" لديه، كذلك الجامعة أيضًا، هي تلك الواحة التي لا ننمو فيها لوحدنا، بل المكان الذي فيه نتعارف، نتعاون، نتشارك، نختلف، نتفاهم، نسير معًا وننمو معًا...

فَليَكُن زمنُ الصوم في قاعات الدرس ومكاتب العمل زمنًا "يجعل آذاننا أكثر انتباهًا وإصغاءً إلى الله وإلى الآخرين"، زمنًا يُسمَع فيه صوتُ المتألّم أو الرأي المختلف، زمنًا "يجعلنا متنبّهين للمساهمة في بناء حضارة المحبّة" يقول البابا، وأُضيف: مساهمين في تحويل جامعتنا إلى أكثر من صرحٍ تربويّ، بتحويلها إلى رسالة.

ختامًا، أدعوكم في هذا الصوم إلى أن نجعل مكاتبنا وقاعاتنا وساحاتنا مراكز "للإصغاء". لنجوع عن الكلام الزائد، لنشبع من حضور الآخر. فالعِلم الذي لا يلمس جرح المتألّم هو عِلم ناقص، والصوم الذي لا يفتح الآذان لصرخة المحتاج هو مجرّد جوع عابر.

أتمنّى للجميع صومًا مباركًا، مليئًا بنعمةِ الإصغاء وشجاعةِ الكلمة البنّاءة.